دراسات تاريخية

أهمية الفقّارة في النشاط الزراعي بإقليم توات في القرن 13هـ/19م

أ.حامد لمين ابراهيم
(جامعة غرداية)
brahim.historien@gmail.com

ملخص البحث

عرفت توات نشاطا زراعيا متنوعا، ساعد إلى حد كبير في تأمين حاجيات السكان الغذائية، وبخاصة من التمور، والحبوب (القمح، والشعير، والذرة المحلية) وبعض الخضر والفواكه مثل البطيخ والفول الطماطم التي اشتهرت بها المنطقة كما عرفت تصدير بعض المنتجات إلى السودان الغربي عبر تجارة القوافل مثل التمر والتبغ ،والطماطم المجففة . فما هي أهمية الفقارة في النشاط الزراعي بتوات وما هي أبرز المنتجات الزراعية التي عرفتها المنطقة؟

وقد نقلت إلينا كتابات الرحالة الأوروبيين كثيرا من المعلومات التي تتعلق بهذا الجانب الهام في حياة الإنسان التواتي، أعانتنا في معرفة تطور حرفة الزراعة والتجارة في هذه المنطقة، وأكد الواقع الحالي كثيرا مما نقلوه لنا في كتبهم ومذكراتهم.

ومن خلال هذه المقال نوضح تحديدا جغرافيا لإقليم توات وتعريفا للفقارة مع ذكر أقسامها وكيفية حساب الماء وتوزيعه وأهم المنتجات الزراعية مع التطرق لأهميتها في ازدهار الحركة التجارية بإقليم توات داخليا وخارجيا.]

مقدمة:

تميز إقليم توات الجزائري بموقع استراتيجي ممتاز في وسط الصحراء؛ يربط الأقطار المغاربية الثلاث (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) بممالك إفريقيا جنوب الصحراء؛ كونه يقع في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء من شمال بلاد المغرب إلى إفريقيا جنوب

الصحراء؛ وهذا ما أعطى منطقة توات حركية تجارية وانتعاشا اقتصاديا، يظهر جليا في كتابات من زار المنطقة من المستكشفين والرحّالة الأوروبيين أمثال: مارتان (Martin)، بيسون (Bisson)، سباتيي (Sabatier)، بيسيال (Bissiel)، وبوي (Boyé) ، فوانو (Voinot)، مارتان (Martin)، دوماس (Daumas)، رولف (Rohlfs)، ديبورتر(Deporter). ومن خلال تقاريرهم وكتابتهم حول هذه المنطقة ؛نلاحظ اهتمامهم الدقيق بمقدّرات إقليم توات الاقتصادية، وإعطاء معلومات إحصائية دقيقة تخص الزراعة والصناعة والتجارة والعادات والتقاليد وكذلك التركيز على دراسة إثنية المجتمع وأعراق السكان؛ مما ينم عن مهمتهم الاستعمارية الاستكشافية التي تمهد للاحتلال واستغلال المنطقة، ومع ذلك تركوا لنا مصادر تاريخية مهمة تكشف لنا مختلف جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية تساعد الباحثين المهتمين بدراسة تاريخ منطقة توات وغيرها من الحواضر الصحراوية. فكيف كان واقع الزراعة والتجارة بتوات من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين خلال القرن19م؟

– التعريف بإقليم توات:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وهو جزء من الصحراء الكبرى الممتدة على عرض إفريقيا الشمالية يضم ثلاث مقاطعات كبرى وهي: تيجورارين، توات، تيديكلت، ويحد الإقليم من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير ووادي الساورة، ومن الغرب عرق شاش وواد مسعود، ومن الجنوب صحراء تنزروفت وهضبة مويدر، ومن الشرق والشمال العرق الشرقي وهضبة تادمايت، أما فلكيا فيقع الإقليم بين خطي طول 1^0 شرقا و3^0 غربا، وبين دائرتي عرض 20^0 إلى 30^0 شمالا، وبالتالي فإن خط غرينتش ودائرة مدار السرطان يتقاطعان بإقليم توات[1] .

يتوزع الإقليم على ثلاثة مناطق من الشمال إلى الجنوب وهي على النحو التالي:

– منطقة تيجورارين: تقع في شمال توات، يحدّها من الشمال والشمال الشرقي العرق الغربي الكبير الذي يفصلها عن الأطلس الصحراوي، ومن الجنوب هضبة تادمايت،

ومن الشرق الحوض الشرقي لوادي الساورة[2]، وكلمة تيجورارين ذات أصل أمازيغي بمعنى (المخيّم)[3].

تنتشر أعداد كبيرة من القصور في تيجورارين بين تبلكوزة في الشمال والمطارفة في الجنوب، تتوزع على الترتيب في مقاطعات رئيسية وهي: تينركوك، أولاد سعيد، تيميمون[4]، طلمين، أقروت، لمطارفة.

– منطقة توات الوسطى: هي مصدر التسمية الجامعة لإقليم توات، تتوسط الإقليم وتبدأ من أعالي قصور تسابيت (عريان الرأس شمالا) إلى غاية اينتهنت (رقان) جنوبا[5]. تشتمل على سلسلة مترابطة المقاطعات، كل مقاطعة تحتوي على عدة قصور أهمها تسابيت، بودة، تيمي[6]، تمنطيط، فنوغيل، زاوية كنتة، أنزجمير، سالي، رقان[7].

– منطقة تيدكلت: اسم تديكلت هو اسم أمازيغي (بربري) معناه بالعربية (كف اليد)[8]. تقع منطقة تديكلت بين توات الوسطى وهضبة تادمايت شمالا وهضبة مويدرا جنوبا[9]، وحَدّدها الشيخ محمد باي بلعالم بقوله: " الإقليم من فقارة الزوى شرق عين صالح إلى قصر تيمقطن" [10]، وتضم حاليا جزء من ولاية أدرار –آولف– وجزء من ولاية تمنراست – عين صالح وإينغر– وهي موزعة على اثنتي عشرة واحة، تشمل مجموعة من القصور ممتدة من الشرق إلى الغرب حسب فوانو(voinot)[11]، وهم فقارة الزوى، فقارة العرب، إيقسطن، حاسي لحجار، فقارة الساهلة الفوقانية، الساهلة التحتانية، فقارة مليانة، عين صالح، عين غار، آولف، أقبلي. وأهم قصور الإقليم[12] هو قصر آولف[13] وقصور أقبلي وقصر تيط، وقصور إينغر، وقصور عين صالح[14].

أ– استغلال المياه الجوفية:

تقوم الحياة الزراعية بتوات على استغلال المياه الجوفية عن طريق الفقارة؛ والتي يمكن تعريفها بأنها ساقية من الماء تأخذ ماءها في البداية من تحت الأرض قبل أن تظهر على السطح عندما يسمح بذلك مستوى انخفاض الأرض، مما يجعلها دائمة الجريان وقد ساعد على ذلك طبوغرافية تيدمايت المنحدرة نحو منخفض توات ما أمكن من استغلال العديد من الفقارات[15].

يمكن للفقارة أن تضم حوالي 500 بئر، وتمتد على مسافة طويلة تزيد على 10 كلم، ويزيد عمق الآبار كلما اتجهنا نحو المرتفعات، إذ نجد عمق الآبار الموجودة على مشارف القصر لا تتجاوز 4 أمتار، بينما الآبار التي في عين الفقارة في المرتفعات 35م ،كما هو الحال في فقارة جن الصغار بآولف[16].

إن حفر الفقارة في البداية يكون من (أغُوسر) أو (أَغيسرو) والآبار الأولى في الفقارة لا ينتج عنها صرف للمياه، ويزداد صرف المياه بازدياد العمق والاقتراب من الطبقة الحاملة لكميات المياه الباطنية في الأحواض الجوفية[17].

في بداية بناء الفقارة فان المجرى الأول الذي يلي بساتينها يكون مفتوحا على الهواء حسب مستوى ملائم للري مباشرة، وقد اصطلح على تسميته بـ (أغوسر)، يتحدد عادة بين نهاية آبار الفقارة وقصور الواحة، ويكون مغطى بالحجارة لمنع زحف الرمال عليه، وتوضع فوهات تستعمل عادة للسقي، ومن أوّل بئر في أغوسر أو أغيسرو يأخذ العمق في الزيادة؛ ليبدأ مجرى الفقارة بالامتداد تحت سطح الأرض[18].

وتقسم الفقارة إلى عدّة أقسام وهي:

- الفرع أو الكراع: قد تبلغ الفقارة منتهى الارتفاع قبل الحصول على كمية الماء المرغوب فيه، ويصب الحفر في الاتجاه المستقيم، فيضطر الخبير إلى توقيف الامتداد وحفر أبار أخرى على إحدى جانبي الفقارة وتتّصل بها وتسمى الكراع.

- تابجّوط: في بعض الأحيان يتعرض العمال أثناء الحفر لحجرة صلبة، فيضطرون لفتح ثقب صغيرة بالحجرة المعترضة ينفذ منها الماء يسمى (تابجوط).
- أغُوسَرْ، أو أغُوسْرو، أو أغيسرو: عند اقتراب ماء الفقارة من الأرض الزراعية أو القصر تتحول الفقارة لساقية على سطح الأرض تسمى أغُوسَر.
- القَسْرية، أو القَسْري: عند نهاية الساقية الأم تكون القسرية، وهي عبارة عن ممرات مستطيلة تُنحَت بعناية، وبطريقة حساب دقيقة على قطعة حجرية من التّافزة مسطحة تسمح بتوزيع الماء حسب الحصص المطلوبة والمحددة لكل مالك.

- الماجِن: وهو الحوض الذي تجتمع فيه مياه الفقارة في البستان من أجل السقي، وهو أيضا وحدة قياس في توات له منفذ يسمى (آنْفِيفْ) [19].

يتم توزيع الماء في الفقارة وتقسيمه على المُلَّاك بآلة قياس تسمى (الشّقْفة)، وهي عبارة عن اسطوانة نحاسية مفتوحة من الأعلى والأسفل مثقوبة في جوانبها وفق أحجام مختلفة، وهذا الثقب قطره 13 مم على ارتفاع بمقدار 23 مم من مستوى القياس، ومنسوبه 4 لتر في الدقيقة [20]. يختلف شكل (الشّقفة) وتسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي تديكلت على شكل اسطواني، أما توات الوسطى فهي على شكل مستطيل، كما يختلف اسمها أيضا فتسمى القَلْد، أو الحلّافة، أو القسّامة، ووِحدة القياس هي الحَبَّة، وتعرف أيضا باسم العود في بني ملوك، وأحيانا تُنعت بالماجل والثّمن[21]. وتضم الشّقفة ثقوبا هي في الواقع عبارة عن أجزاء ومضاعفات لحَبَّة (زَيْرَق) وهي: النصف، الثلث، الربع، السدس، ونصف السدس، وربع السدس، وهذا الأخير يساوي 24/1 من الحَبَّة ويسمى بالقيراط، وهو عبارة عن حَبَّة 1/ 576 من حَبَّة الزَّيْرق. وهناك وحدة قياس أخرى تدعى بحَبّة معبود والتي يمكن تجزئتها إلى 24 قيراط، والعلاقة بين حَبّة زيرق وحَبّة معبود هي أن حَبّة زَيْرَق تساوي 24 من حَبّة مَعْبُود.

تخضع الفقارة لنظام صارم في الإدارة والتسيير؛حيث تملك كل فقارة سجلا يسمى عرفا بـ: (الجريدة)أو (الزمَّام) تكون فيه حيازات الأفراد ولا يمكن إحداث تغيير في هذا السجل بدون إظهار عقود البيع الموقّعة من قبل البائع وشاهدين معروفين، ويعهد حفظ هذا السجل إلى إمام القرية في الغالب، والذي يسمى بـ(الشاهد) ويمكن للشاهد الواحد أن يتولى سجل أكثر من فقارة[22].

تتم صيانة الفقارة بصفة دورية مرة كل سنة أو سنتين بحسب الحاجة إلى ذلك، وعلى حسب حالة الفقارة أن كانت جيدة أو قديمة.وتتم وفق خطوات دقيقة لخطورتها وعمق آبارها وتتركز أعمال الصيانة على ما يلي:

- إخراج الأتربة من الفقارة والقيام بتنظيفها.

- التخلص من الرواسب الكلسية لأن المياه تحتوي على أملاح كلسية تتراكم على جدران آبارها الداخلية بمدار الأيام.
- إصلاح الانهيارات بالنسبة للتربة بصورة استعجالية لأنها توقف مجرى الفقارة.

وفي العادة تتم أعمال صيانة الفقارة في فصل الصيف قبل بدأ موسم الحرث، وتتم صيانة الفقارة بواسطة مجموعة من الوسائل مثل الحبال، وكانت قديما تصنع من ألياف النخل والجرّارة (البَكرة) والمجرفة، والفؤوس، والقفاف، والمعاول، ويُعتمد في إنارة النفاذات على الشموع والكانكي [23].

ب- الزراعة في توات:

1- **زراعة النخيل**: إن قيام الزراعة في المناطق الصحراوية لم يكن بالأمر السهل، فقسوة الطبيعة مع فقر وملوحة التربة وندرة المياه،كلها عوامل لا تساعد على قيام زراعة نشيطة، ورغم ذلك فان سكان الإقليم التواتي تمكنوا من تذليل الكثير من الصعوبات، واوجدوا وسط بيئتهم الصحراوية حياة زراعية ناجحة[24]، ومن ابرز هذه الزراعة غراسة النخيل؛ التي تتم بأخذ الفسيلة ووضعها في الماء، ثم يبدأ الفلاح بغرسها في أحواض من اجل السقي، فتنمو الفسائل بطريقة طبيعية، وتمتد جذورها في أحواض لتتغذى وتصبح أكثر قوة في مقاومة الظروف الطبيعية القاسية، وبعد مرور سنتين أو ثلاث على غرس الفسيلة تبدأ في الإنتاج، فتُلَقح النخيل وتتم هذه العملية في شهر فبراير، ثم في شهر جوان بقطع بعض العراجين من النخلة لتخفيف حمولتها من جهة ولتغذية الغنم من جهة أخرى[25].

يبدأ المحصول الأول في الظهور ابتداء من شهر جويلية ويبدأ جنيه في بداية شهر سبتمبر، وبحلول فصل الشتاء تنظف النخيل، وهذا بقطع العراجين المتبقية إضافة إلى الجريد الذي يَبَس والكَرْناف الذي يستعمل كوقود لطهي الطعام أما الجريد فيستعمل كحواجز طبيعية لوقف زحف الرمال[26]. تُقَلّم النخلة وذلك بقطع الكرناف والجريد الجاف بآلة حادة كالفأس على ارتفاع 10 أو 12 سم من قاعدة (الكَرنافة)، وتقطع الجريدة من منطقة بروز الأشواك وتترك قاعدتها وهي المسمّات بالكرنافة.

وهذه العملية تسهل على الفلاح جني التمور ومنع انتشار الأمراض، ويمكن الاستفادة من بقايا النخلة في بعض الصناعات التقليدية، وتحرق الأجزاء التي لا فائدة منها وينشر رمادها على تربة البستان لتكون مواد عضوية [27].

يتغير اسم النخلة على حسب سنها، فعندما يُفصل الفسيل من النخلة يسمى بالغرسة وتحتفظ النخلة بهذا الاسم من أربعة إلى خمس سنوات وبعد خمس سنوات تسمى بالعارضة عند إنتاجها الأول للتمر وإنتاج التمر يرتبط بمدى عرضها، حيث يزداد الإنتاج شيئا فشيئا كلما ازداد نموها. وإذا كان مستوى طول النخلة مساويا لقامة الإنسان تسمى (بباكورة) وعندها يكون إنتاجها في مرحلة متقدمة أي يعطي غلة كاملة.ودورة حياة النخلة تكون في المتوسط بين 30 إلى 40 عاما حسب العناية التي تقدم لها، وتتميز النخلة الكبيرة بانكماش جزعها ويبس جريدها ونقص إنتاجها إلى نصف ما كانت عليه وتسمى بالنخلة الكبيرة[28].

تُصنف التمور حسب نوعيتها إلى ثلاثة أصناف؛ الصنف الأول وهو الجيد يوجه مباشرة إلى عِلية القوم وأغنياء الواحات وهو يقدم عادة للضيوف، وهو تينكور (تينقور) تينهور، أحرطان، تلمسو، المعروف (بالحميرة) لونها أحمر، تيندكل، تقربوش، المسعودية، وتتميز معظمها بالحلاوة وهي تصدر نحو الخارج[29]. والصنف الثاني وهو الموجه للاستهلاك المحلي والتصدير أيضا وهو: تلمسو، والحميرة، من النوعية المتوسطة، تيناصر، تقازة، تنمليحة، تزرزاي،، الدقلة السوداء، الورقلية، لفقير علي، شداخ[30]. وهذه الأصناف المذكورة في الصنف الأول والثاني هي الأهم في الواحات والتي تتميز قيمتها عن باقي الأصناف، إلى جانب ذلك توجد أنواع أخرى وهي: هكش، عصيان، أدهم، العش، أغراس، ادهم الحاج، أقاز، أغم، أغمو، أغلول، إقنّقَن، أقل، أحلمود، عيسى بن موسى، أقس، أزروف، باجاوي، بامخلوف، باملیلك، بايمون، بيغل، بنزيم، بلال، بن عيسى، بن ترفي، بن خليان، بن خلف، بن طالب، بنت دوبة، بسكوف، بوعريف، بوجلطة، بوحجيم، بوكزيم، بوكري، بن ودال، الشيخ محمد، الشرفة، دقلة مكد، دقلة نور، الدقلة

الصفراء، الدقلة السوداء، دقلة مولاي ادريس، دقلة دجبة، دقلة الجدير، دهير، دقلة محمد، فقوس، فكاري، فلان فزان، قار حمدها، حمد، حمو، الهامل، حمو ناجم، أنقال، أنقلو، ايتيمة، حجول،كونتي، منشار، منتيات، نيوني، عباد، ورقلية، أوجيل، أولادم، اولكار، أم الجلود، أم الطيب، أوزميت، وزان، سمط، سانتي، أصبع السلطان، تعبوت، تيلمهدية، تجار، تدمامت، تفلحان نقار، تخزي، تمدري، تملالت، تانوت، تسركمنت، تسركمت، تصلاح، توربوت، تزيزوات، تازورور، تاقرناف، تيلفيت، تينافت، نيناقشت، تنلغلام، تنغرات، تنبتام، تنبدو، تنبوزيز، تنبوزيد، تيندقل، تيندكان، تينكسرى، تينركوك، تينكصر، تينميدول، تنمليون، تنمحمد، تنورقلي، تنوجل، زوفانا[31].

أما الصنف الثالث فهو الصنف الرديء يعرف بالحشف، ويسمى أيضا التمور الجافة قبل نضجها وهو موجه لتغذية الأنعام[32].

تعتبر دراسة مارتان (Martin)[33] الميدانية مصدرا هاما في تحديد نسبة إنتاج النخيل حسب نوعية التمور وعدد أشجار النخيل، إضافة إلى دراسة فوانو (Voinot) [34]التي خص بها منطقة تديكلت، ودراسة بيسون (Bisson) [35]التي تطرقت لمنطقة قورارة، ودراسة سباتيي (Sabatier) [36]التي اهتمت بالمجال الاقتصادي لإقليم توات إلى جانب بيسيال (Bissiel) [37]؛ حيث ذكر أنه في سنة 1891م كان عدد نخيل مقاطعة توات 3000000 نخلة وعدد نخيل مقاطعة تيجورارين2500000. كما تطرق وبوي [38](Boyé) سنة 1898 الى إحصاء نخيل تديكلت وقال أنها وصلت إلى 1500000 نخلة، ويرى العياشي في القرن 11هـ/ 17م عندما زار تسابيت أن التمر بها رخيص وتوجد منه أنواع كثيرة[39].

نالت زراعة النخيل في الواحات التواتية حصة الأسد، فهي أساس التجارة ومعاش أهلها لكنها لم تكن الوحيدة؛ لأن الأهالي لم يهملوا المنتجات الزراعية الأخرى، ورغم قسوة الطبيعة إلا أنهم دأبوا على زراعة المساحات القليلة المتواجدة

بين أشجار النخيل بمنتجات زراعية مختلفة، في ظل نقص الآلات الزراعية التي كانت بدائية تمثلت في الفؤوس والمعاول، والمجرفة، والقادوم، والمنجل[40].

أصيبت واحات النخيل بإقليم توات بأمراض كثيرة؛ مثل مرض البيّوض الذي أصاب منطقة فاتيس بإقليم تيجورارين، ثم تسرب هذا المرض عبر القوافل التجارية إلى سائر إقليم توات، وهذا نتيجة لقرب الواحات ببعضها، وعدم اتخاذ وسائل وقائية تحد من انتشار هذا المرض[41]. ولمرض البيّوض أعراض تظهر على سعف النخيل، فتأخذ السعفةُ المصابة اللون الرمادي ثم تيبس، بعدها تبدأ الأعراض تباعاً في الظهور على السعف المجاور ثم تموت النخلة عندما يكتسحها المرض وتموت بعد سنتين من إصابتها إذا لم تعالج[42].

2- زراعة الحبوب والخضر والفواكه :

تتمثل زراعة الحبوب بتوات في زراعة القمح والشعير، وهي من المواد المعاشية الأساسية غير أنها لا تكفي حاجيات السكان، بالرغم من جودتها العالية التي نافست جودة القمح الصلب في المناطق الشمالية[43]. يزرع القمح والشعير في كل المناطق الخالية، بين أشجار النخيل في مساحة تعرف بالقَمُّون[44] تزرع الحبوب في فصل الشتاء، وقد بلغ إنتاجها في سنة 1322هـ/ 1904م نسبة 1700 قنطار بمنطقة توات أما بقورارة فبلغ إنتاجها 21000 قنطار، وفي تديكلت 8000 قنطار ويشير مارتان (Martin) إلى أن إنتاج الحبوب في توات بالنسبة للقمح والشعير بلغ 48000 قنطار[45]. وذكر فوانو (Voinot) أن المساحة المزروعة ففي تديكلت قدرت بـ 100000 قنطار[46]. والمناطق التي يتركز بها إنتاج القمح والشعير هي منطقة تيجورارين، بالإضافة إلى تسابيت، وتوات الوسطى وآولف وعين صالح، إضافة إلى منطقة بودا[47].

ومن المحاصيل الصيفية الدخن، وهو نوع من الذرة ويسمى محليا بالتافسوت، فيزرع في شهر أفريل أو ماي، ويحصد في شهر أكتوبر، ويقدم كعلف للحيوانات حيث بلغ إنتاجه حسب مارتن(Martin) 32000 ألف قنطار[48]. كما يوجد نوع آخر من

الذرة تزرع في شهر أكتوبر تسمى بالبشْنَة، وتعتبر مع التافسوت من الحبوب التي يكثر عليها الطلب في أسواق إفريقيا الغربية[49].

عرف إقليم توات العديد من الخضر التي تزرع في فصل الشتاء، وتبدأ زراعتها مع حلول فصل الخريف، موجهة للاستهلاك المحلي[50]وهي البصل، اللفت، الطماطم، القرنبيط، الباذنجان، الشمندر، الثوم، الفاصوليا، الفول، البزلاء، الجزر، الفلفل[51]، كذلك زرع التواتيون العدس، والحمص، والكرنْب، والقرع[52]. إلى جانب الخضر عرفت توات زراعة بعض الفواكه كالعنب، والرمان، والبطيخ، والفول السوداني، اللوز، والتين، وتزرع هذه الفواكه إلى جانب الخضر[53] ،ولم اطلع على إحصائيات تدل على كمية إنتاجها.

3- الزراعة التجارية:

- الحناء:

تعرف بتسمية (Lawsonia Inermis)، وهي شجيرة صغيرة ترتفع عن الأرض أثناء نموها بحوالي 40 أو 50 سم، تزرع على حواف سواقي وقنوات المياه، لون جذعها أبيض وأوراقها خضراء[54]، تُنتج في منطقة توات السفلى في منطقة تدعى بوادي الحناء بمنطقة أنزجمير وسالي. تستعمل الحناء بعد سحق أوراقها وإضافة الماء لها، لتصبح في شكل عجينة تستخدم للتطبيب كدواء للجروح، وتستخدم للزينة والتلوين وصباغة الشعر[55]، وتباع الحناء في أسواق تيجورارين، ويطلبها التجار للتصدير نحو إفريقيا جنوب الصحراء[56]، وانتشر إنتاجها في جميع إقليم توات نتيجة الطلب المتزايد عليها[57].

- التبغ:

يزرع التبغ أو(الشمّة)في عدة مناطق في توات، ويبقى سوقها المركزي ومكان زراعتها بزاوية كنته، تزرع هذه المادة مرة في السنة، ثم تعاد زراعتها في عين المكان، وتترك المسافة بين شجرة وأخرى تقدر بحوالي 40 و50 سم بشكل دائري حتى يتسنى لها المحافظة على مياه السقي في جذورها. يتم حصد التبغ (الشمّة) في شهر جوان عندما يصل طول الشجرة 40 سم، وبعد حصدها توضع في شكل حزم تزن الواحدة 800

غرام لتباع في الأسواق، ويتم استهلاكها بعد تخميرها وتجفيفها وسحقها [58].
ويستخدم التبغ من قبل التواتيين للاستهلاك المحلي[59]، ويصدر منه إلى الأسواق الخارجية إلى الشمال وإلى إفريقيا جنوب الصحراء[60].

– القطن:

يزرع على حواف السواقي، ويصل طول شجرة القطن إلى حوالي المترين، لايعطيه سكان توات أهمية كبيرة، وهم يتركونه مهملا مثل النباتات البرية، ولهذا إنتاجه لم يعط أي أهمية في الصناعة النسيجية[61].

ج– الرعي وتربية الحيوانات:

إن قلة سقوط الأمطار بإقليم توات؛ نتج عنه عدم توفر المراعي بكثرة، غير أن بعض المراعي توجد حيث تطفوا بعض المياه الجوفية، أوفي مجاري الوديان بعد جفافها، ففي هذه الأماكن تنمو بعض الحشائش والشجيرات البرية[62] كالطلح والدرس، وأم ركبة، والرشم، السدرة، الضمرة، البلبال، الفرسيق، الشيح، الشندقور، الجعرة، الديس، الحارة، الحاد، الكرنكة، العقاية، الأثل (الأتل)، الدّفلة، السنا، الكرطوفة، الحريشة، العرعار، حب الرشاد، القصف، الحبايلة.وتغطي هذه الأعشاب والشجيرات سطح هذه بعض المناطق في توات؛ فتكون صالحة لرعي الحيوانات ومن المناطق التواتية التي اشتهرت بالرعي منطقة تديكلت حيث بها مراعي يطلق عليها الأهالي اسم (الغابة)، وكانت قبائل أولاد زنّان بآولف، وأولاد المختار بعين صالح ترعى فيها الجمال[63].

تعتبر تربية الجمال بإقليم توات ذات أهمية كبيرة في المجال الاقتصادي للانتفاع بألبانها، وأوبارها وجلودها، ولحومها، وأيضا تستخدم كوسيلة نقل تستخدم في المسافات البعيدة بفضل قدرتها على التحمل[64]، فهي أساس تجارة القوافل، وهي المورد الهام للواحات اقتصاديا منذ ظهورها، والذي ترجحه المصادر التاريخية هو أن الجمل دخل إلى الصحراء الكبرى الإفريقية في منتصف القرن السابع قبل الميلاد إثر غزو الهكسوس لوادي النيل وبعد عدة قرون انتقل إلى منطقة المغرب، وساهم في زيادة العمران في المناطق الصحراوية[65]؛ ومن هذا يتضح أن الجمل دخيل على الصحراء

الكبرى الإفريقية وليس ملازما لها كما يعتقد البعض[66]. ويبدو أن هذا الحيوان بقدرته على التحمل والتأقلم مع أوضاع الصحراء قد أحدث تحولات هامة في هذه المنطقة، ويرجع له الفضل في فك العزلة عنها، وفتح إمكانية الانتقال منها وإليها، وربط أطرافها المترامية وانفتاحها على بقية العالم، ولهذا كان الجمل بحق أداة وصل تجاري وحضاري لأطراف الصحراء الكبرى الإفريقية[67].

انتشرت في قصور توات تربية أعداد قليلة من الأغنام والماعز، وهي من النوع الذي يعرف في المنطقة باسم (الدمَّان) وهي بأعداد قليلة يتغذى بالحشف (التمور الجافة) وبالفصفصة (الفصّة) وغيرها من الحشائش التي تنمو بالمنطقة مثل البَشْنة والذرة (التافسوت)[68]. وأشار الحسن الوزان إلى أغنام قورارة بقوله في وصف قورارة: "... فليس في تيكورارين سوى بعض الماعز الذي يربى من أجل اللبن..."[69].

أما أغنام الطوارق المعروفة (بسيداون)- نسبة إلى السودان- فهي موجهة إلى الذبح، وعلى الرغم من قلة أعداد الأغنام مع رداءة صوفها فإن التواتيين استغلوا أصوافها في غزل الصوف، أما ألبانها فقد استُخدمت في صناعة الزبدة والجبن واللبن المخثّر، وتُستغل جلودها بعد دبغها في الصناعات الجلدية مثل القِرَب لحمل الماء والسروج[70].

تتوفر واحات توات على عدد قليل من الأحصنة التي لا تتعدى 40 رأسا في منطقة تيمي و136 في توات و36 في بودة[71]، إلى جانب الخيول تُربّى الحمير التي تستخدم في الأعمال اليومية داخل البساتين وفي القصور، أما الخيول فكانت عند العائلات الميسورة الحال فقط [72].

قدَّمت دراسة فوانو(Voinot) حول تديكلت أعداد بعض رؤوس الحيوانات أُبينها في الجدول التالي[73]:

النوع	الأعداد (الرأس)
الإبل	600
الأحصنة	16

البغال	20
الحمير	700
الأغنام والماعز	3500

أما تربية الدواجن فكانت منتشرة خاصة الدجاج، للاستفادة من بيضها وكان نوع الدجاج الذي يربى في توات من الحجم الصغير(74).

كان المحصول الزراعي في الإقليم يتعرض في الكثير من الأحيان للكوارث والآفات الطبيعية كالجراد مثل ما وقع سنة 1099هـ/ 1687م وبقي خمس سنوات، وكذلك في سنة 1126هـ/ 1713م، وبقي سنتين، وفي سنة 1750هـ/ 1163م بقي سبع سنوات، ومن كثرته كان الناس يطاردونه ويختزِنونَه كالتمر ثم يأكلونه(75).

ولم يكن الجراد وحده الذي يهدد المحاصيل الزراعية بل كانت أيضا عرضة للرياح القوية مثل ما وقع سنة 1189هـ/ 1785م. وتنتج هذه الكوارث مواسم جدب وقحط تشح فيها الأتوات، وترتفع الإثمان، وتذكر بعض الروايات أنه سنة 1070هـ/1669م ضربت الإقليم مجاعة كبيرة بسبب الجراد بيع الرطل الواحد من التمر بمثقال ونصف ذهب(76).

– المبحث الثالث: التجارة الداخلية والخارجية لتوات:

في كلامنا عن التجارة بتوات ارتأينا أن نقسمها إلى قسمين: تجارة خارجية، وداخلية، فالتجارة الخارجية لها أهمية إقليمية مرتبطة بالأسواق الخارجية، ومن هنا تبرز توات كموقع استراتيجي، وهي منطقة عبور ولابد للتّجار من المرور بها، فاعتبرت سوقا هاما لكل القوافل التجارية القادمة إلى توات شمالا وجنوبا. **أ– التجارة الداخلية:**

تتم التجارة الداخلية في إقليم توات عبر الأسواق العامة التي ساهمت بدور هام في الحياة الاقتصادية عند التواتيين، فكانت تعد القلب النابض بالنشاط التجاري للبلدة لذلك لم يخل أي قصر تواتي منه، ونظرا لما للسوق من أهمية في تنشيط حركة البيع

والشراء فقد حرص كل صاحب سلعة على عرضها داخل السوق، أما لبيعها أو استبدالها بسلعة أخرى[77].

وصف دوماس (Daumas) أسواق توات، وقال بأنها ثلاثة أبواب رئيسية وهي: باب أولاد ابراهيم، باب تادمايت، وباب تيمقزات، إلى جانب خمسة أبواب أخرى صغيرة مزودة بسبعة أماكن تعرف بالرحبة منها رحبة أولاد ابراهيم، والمستور، ورحبة الجماعة، وهي أماكن يلتقي فيها التجار، خصصت بعض جوانبها لسلع معينة فتجد فيها سوقا للصناعة، وسوقا للسرّاجين، وسوقا للجلابيب، وسوقا لبيع السمن، وسوقا لباعة الجمال والأنعام، وسوق لبيع التبغ، وسوق لبيع العبيد، وهو مهم لاستقبال العبيد المجلوبين من السودان، تعرض السلع في هذه الأسواق سواء كأنة محلية أو مستوردة[78]؛ حيث تقصد القوافل التجارية السوق على الفور، وتضع سلعتها، فينتشر خبر مجيء القافلة إلى البلدة، ويأتي التجار بسلعهم وتدب الحركة فيعلوا الضجيج داخل السوق، وكثيرا ما يستمر السوق منصوبا حتى غروب الشمس، وكذلك الحال بالنسبة لقوافل الحجاج التي تقطع الصحراء في طريقها للحجاز فكانت غالبا ما تتجه إلى أقرب الأسواق التواتية الواقعة على خط سيرها لشراء ما يحتاجون إليه من المواد الغذائية، خاصة التّمور التواتية التي اشتهرت برخصها، فيبيعون أو يستبدلون ما يستغنون عنه من خيل أو إبل[79]. ونذكر من أهم الأسواق المزدهرة عبر إقليم توات ما يلي:

1-أسواق تيجورارين: يحتل شهرة كبيرة خارج توات، فقد كثرت فيه السلع المعروضة وتنوعت من عبيد وريش النعام، والعاج، واللحوم المجففة، والجلود، بالإضافة إلى التمور على اختلاف انواعها، والحناء والطباق، والتبغ (الشمّة التواتية المشهورة)، ومن المصنوعات اليدوية تتواجد به الأبسطة (الدكّالي) والبرانس، والأغطية والقفف والسلال، وكذلك ملح الطعام والفحم النباتي والجير والجبس وغيره[80].و كان هذا السوق تقصده القوافل القادمة من الشمال التي تأتي من المنيعة، وغرداية، ورجلان، متليلي الشعانبة وسعيدة، والمشرية وعين الصفراء، والبيض لمبادلة سلعها من القهوة والسكر والشمع والصابون بسلع سوق تيجورارين[81].

تطرق الجغرافي الشهير الرحالة الحسن الوزان لسوق تيجورارين عندما زار إقليم توات عام 917هـ/ 1511م، وأثناء حديثه عن تينجورارين في كتابه وصف إفريقيا يصف سكانها بالأغنياء وأنهم يذهبون بسلعهم بكثرة لبلاد السودان ثم يذكر انه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجار من بلاد السودان وتقام هناك أسواق كبيرة، كما تطرق لذكر بعض السلع التي تباع هناك كاللحوم، وقال أن أسعارها مرتفعة وذكر أيضا أن سكان تيجورارين يشترون لحم الجمال والشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان وتحصُل منه على أرباح كثيرة[82].

2-أسواق توات الوسطى:

-سوق تمنطيط: تعتبر تمنطيط من أهم وأقدم القصور التجارية بتوات ؛كونها تتوسط إقليم توات، بحيث يصف لنا المؤرخ التواتي محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه القول البسيط في أخبار تمنطيط، حركية تمنطيط التجارية بقوله: " ... التمنطيط اسم المدينة في إقليم توات، بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والربانية، وتنصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد، لما فيه من الدين والبركات والمنافع والحاجات، فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان، تنصت لعرسها الجيران، وبرد بها الظمآن وتربّى بها التجار في الأوان، ولا ينفع ذو سلعة عرفها إلا بسعرها"[83]، وأورد أيضا أن بها " ثلاثمائة وستين صياغا يهوديا، وقد أجلاهم منها العلامة بن عبد الكريم المغيلي"[84].

زار الرحالة رولف (Rohlfs) تمنطيط، وذكر أنها مازالت تتمتع بازدهارها الاقتصادي الذي عرفت به من قبل، بحوانيتها المنتشرة على جانبي الطريق وبنشاطاتها المختلفة في الحدادة وتطريز الملابس وغيرها[85]. ومن خلال شهادة الرحالة الألماني رولف (Rohlfs) والوصف الدقيق للمؤرخ محمد الطيب بن عبد الرحيم يتضح لنا الازدهار الاقتصادي لسوق تمنطيط، وأنه كان مقصد القوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب؛ لما كان يتوفر عليه من منتوجات محلية سواء كانت زراعية أو صناعية وأسعاره المنخفضة المغرية.

– **أسواق تديكلت:** يعد مركز عين صالح بسوقه الرئيسي المتواجد بقصر العرب أو القصر الكبير؛ نقطة هامة لالتقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء في كافة الاتجاهات، وقد كانت هذه القوافل تضع حمولتها بسوق قصر العرب لبيعها أو لمقايضتها، ومنها ما يستأنف بها السير إلى أسواق أخرى، ويُعد هذا السوق منطقة عبور وكانت السلع والبضائع المعروضة متنوعة ورخيصة الأثمان في نفس الوقت، فمن أسواق السودان الغربي كان يجلب العبيد وهذه البضاعة مطلوبة في أسواق توات والأسواق الشمالية الأخرى؛ مثل ميزاب وورجلان وكذلك يجلب ريش النعام، والذهب، ومن أسواق طرابلس وغات وغدامس تأتي القهوة والسكر من أسواق التل الجزائري تأتي السكاكين، والمرايا، وإبر الخياطة، والمجوهرات.ومن أسواق المغرب الأقصى تأتي الملابس المطرزة، والأسلحة النارية، والخيل، وهذا إضافة إلى توفر المنتجات المحلية التواتية من تمور وأبسطة تواتية[86].

وقد شهد على ذلك الرحالة الألماني رولف (Rohlfs) عندما توجه إلى منطقة تديكلت ووصف المعروضات من سلع وبضائع، ومدى النشاط التجاري الذي يحتله سوق القصر الكبير بالنسبة لتجارة الصحراء[87]. ذكر ديبورتر (Deporter) بأن سوق عين صالح هو مركز مهم في تجارة العبور الصحراوية، وأن القوافل القادمة من غدامس وغات وتنبكتو نحو أسواق الشمال المتمثلة في: متليلي الشعانبة، وورقلة، وذكر ديبورتر(Deporter) أيضا أنه سكن في قصر العرب تجار من غدامس، وغات، وتنبكتو، ومتليلي، وورقلة، يجنون سنويا أرباحا معتبرة جراء تجارتهم بالسوق[88].كما توجد بتديكلت أسواق أخرى على غرار سوق عين صالح الشهير وهي أقل ازدهارا منه مثل:

–سوق آولف: يمثل هذا السوق مركزا بين أسواق توات وتديكلت ؛ كونه يقع على طريق القوافل وهو بوابة توات نحو تنبكتو. عرفت منطقة آولف بتجارة العبور وكان يسيطر على ذلك قبيلة أولاد زنّان حيث يمتلكون أعدادا كبيرة من الجمال، يوفرونها للتجار الذين يعبرون تديكلت نحو تنبكتو، كما كان منهم أدلاء يقودون القوافل في الصحراء الكبرى بين توات وتنبكتو لمعرفتهم الكبيرة بالصحراء وطرقها وأبار المياه[89].

ومن التجار في منطقة آولف أمحمد بن أحمد حمد لامين[90]، والتاجر أحمد حمدي حبّادي الذي عثرت له على رسائل من تنبكتو تحمل أسماء بعض البضائع والسلع وأثمانها، وهو من قبائل أولاد شبل العربية؛ التي أسّست قصر حبّادات بآولف، وتعتبر قصبتهم- قصبة حبّادات- مقصد القوافل القادمة من توات، والمتوجهة نحو عين صالح إلى أسواق السودان الغربي، أو العكس، حيث عرف هذا القصر حركة تجارية مزدهرة[91]، خاصة في تصدير التمور التي كانت تحمله القوافل في الشِبّاك بعد أن ينزع منه النوى كي يكون حملا خفيفا، مع أخذ اكبر كمية ممكنة منه، وكانت قبائل الطوارق تتردد على قصبة حبّادات كثيرا لاقتناء البضائع السودانية حيث كان القصر يعرف حركية تجارية كبيرة لأنها آخر محطة تستريح فيها القوافل بقصر آولف قبل الدخول إلى أقبلي، وكان أولاد حبّادي يحرصون على استضافة كل من يقصد قصبَتهم، خاصة وأن القصر مزود ببئر من الماء ومسجد للصلاة به مدرسة لتعليم القرآن والفقه، معروف إلى الآن-2015م- بجامع حبّدات، ويحتفظ حبّادي أحمد بعديد الرسائل والوثائق المخطوطة التي توضح التواصل الاقتصادي والعلمي بين منطقة آولف بتوات وتنبكتو[92].

ب-التجارة الخارجية:

تتم التجارة الخارجية لإقليم توات على خمس مناطق أو محاور رئيسية يتعامل معها تجار توات في تصدير واستيراد السلع والبضائع وهي:

1- **أسواق الشمال الجزائري:**

تَربِطُ توات بأسواق الشمال الجزائري شرقا وغربا مجموعة من الطرق تخرج من جهة توات ومن جهة تيجورارين ومن جهة تديكلت وهي:

- وهران، أرزيو، الخيثر ،مشرية، عين الصفراء، فقيق ،أقبلي، توات.
- وهران، أرزيو، الخيثر، البيض، الابيض سيد الشيخ، المنقب، تبلكوزة، توات .
- سكيكدة، قسنطينة، باتنة، بسكرة، تقرت، ورقلة، ميزاب، عين صالح، أقبلي، توات.

- الجزائر، البليدة، المدية، الأغواط، ميزاب، عين صالح، أقبلي، توات [93].

كانت قوافل الشمال الجزائري تقصد إقليم توات مع موسم جني التمور[94]؛ لأخذ التمر، والحناء، والزّرابي مقابل ما تأتي به من حبوب وسكر، والشاي والصوف[95]. كما كانت قوافل من البيض والمشرية وعين الصفراء تقصد إقليم توات عبر زاوية سيدي منصور وقصر أولاد عيسى، محملة بالسمن، والحبوب، والصوف، والأغنام، والألبسة القطنية[96].وقد أوردت مجلة المبشر الفرنسية قائمة للمبادلات التجارية بين قافلة عين الصفراء وسوق تيجورارين سنة 1899- 1900م[97]، كما أورد مارتان قائمة للبضائع والسلع المتبادلة بن قافلة وهران وسوق توات سنة 1317هـ /1900م.

2- أسواق المغرب الأقصى:

يربط توات بأسواق المغرب الأقصى مجموعة من الطرق التجارية المتفرعة على أربعة طرق رئيسية وهي:

- توات، أقبلي، أم دربينة، قصبة المخزن، مكناس، فاس.
- توات، أقبلي، فقيق، سجلماسة، تافلات، فاس.
- توات، تبلبالت، قصبة تنزولين، وادي درعة، مراكش.
- توات، تيجورارين، ميزاب، تلمسان، فاس[98].

3- أسواق الطوارق:

تنتشر قبائل الطوارق في بلاد الهقّار وهي الواقعة جنوب توات، ويتم الصلة بين توات وأسواق الهقار عبر سوق عين صالح، وذكر فوانو (Voinot) قائمة للمبادلات التجارية التي تمر إلى السودان عبر منطقة الهقّار؛ كونها تقع في نقطة عبور بين أسواق توات والسودان الغربي، مثل التمر والتبغ والحناء والأغنام والماعز من نوع الدمَّان[99]. وكان الطوارق يصلون إلى أسواق عين صالح حاملين معهم الإبل وخراف الدمّان والماعز لمبادلتها بالتمور والتبغ (الشمّة) التواتية[100]. يمتلك الطوارق قوة هائلة من المهاري – الجمال- إضافة إلى صفة الشجاعة التي يتميزون بها، فهم يعملون كحراس وأدلّاء على القوافل التي تمر بمنطقتهم مقابل ضريبة معينة[101].

5-أسواق السودان الغربي:

تعتبر منطقة السودان الغربي من المناطق التي تعرف تبادلات تجارية مهمة مع توات، بحكم الموقع الجغرافي للسودان الغربي المحاذي لإقليم توات؛ حيث تعتبر الصحراء همزة وصل بين أسواق السودان الغربي ومنطقة توات، بحيث تقطعها القوافل التجارية ذهابا وإيابا لتزود أسواق توات والسودان الغربي، ممّا أنعش الحركة التجارية والاقتصادية بين الإقليمين ؛لأن القوافل التواتية تقصد أسواق تنبكتو، أروان، المبروك، تاودني، جاو، ووالن[102] .

ولم تقتصر القوافل على التجارة فقط، بل كانت هناك قوافل الحجاج التي يشترك فيها أعداد كبيرة من التواتيين وجيرانهم، وكانت قافلة الحجاج التواتية تجتمع كل عام بمقاطعة عين صالح وتسلك الطريق الشمالي الشرقي الذي يمر بمدينة غات، وعندما تصل إلى مدينة مرزق تمكث القافلة بها حوالي 25 يوما يبيع أفرادها ويشترون ما يحتاجون إليه من أسواقها، ثم تستأنف سيرها نحو فزان، ومنها تتجه إلى مصر، لتَعبُر منها إلى الأراضي الحجازية[103].

وفي ختام هذه الدراسة؛ نستنتج أن دراسات الغربيين تكون دقيقة في معظمها خاصة في الجانب الاقتصادي، لكن يجب الأخذ منها بحذر ومقارنتها مع المصادر المحلية كالمخطوطات والمصادر الشفهية، فدائما ما مجّدت الدراسات الأوروبية منطقة على أخرى وقبيلة على أخرى لأهداف استعمارية، كما يتضح لنا من خلال المصادر الغربية أن التواتيين استغلوا مياه الفقارة باعتبارها عمود الفلاحة التواتية ومصدر أساسي للماء في توات، فاشتهرت بالمنطقة عدة منتوجات زراعية اعتمدت عليها معيشة سكان توات كالتمر، والقمح، والذرة، وبعض الخضر الموسمية، كما اهتم التواتيون بالزراعة التسويقية كزرع الحناء والتبغ وهي موجهة للتصدير خارج أسواق توات، كما ساعد النشاط الزراعي بإقليم توات في تنشيط الأسواق التواتية؛ فظهرت بذلك حركة تجارية مزدهرة داخلية بين الأسواق التواتية في مقاطعاتها الثلاث وخارجية مع الأسواق الخارجية خاصة أسواق السودان الغربي.

هوامش:

[1] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال ق 12هـ ، دار السبيل ، الجزائر، ط1، 2009م، ص 32.

[2] – Bisson (Jean): Le Gourara, étude de Géographie Humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire N^0 03, 1995, P 8.

[3] – بليل رشيد: قصور قورارا، و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب و الأخبار المحلية، تر. عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2008م ، ص 37.

[4] – هي عاصمة تيجورارين، اعتبرها عبد الرحمن بن إدريس التينيلاني (ت 1233هـ/1818م) قاعدة قرى قورارة. ينظر: عبد الرحمن بن إدريس التينيلاني: الرحلة من توات إلى الجزائر مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار،الورقة 1 و.

ووصفها ابن الدين الأغواطي: بأنها" الممر الهام للرحل نحو الشمال و منه [...]منازلها متراصة مبنية بالطين والطوب ذات اسواق عامرة مشهورة، أما سكانها فهم مزيج من أجناس مختلفة، فهناك البشرة البيضاء والحمراء و السوداء". ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1 ، 1990م ، ص 257.

[5] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومه، الجزائر، ج1، 2005 م ، ص 9.

[6] – كلمة أمازيغية مركبة من مقطعين، و تعني مكان الأحرار. ينظر: محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1 ص 20.

[7] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد خلال القرنين 12و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1 ،2007 م، ص 34.

[8]– تومي سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005 م، ص 19. ينظر: عبد المجيد قدي: صفحات من تاريخ منطقة آولف، دار الأبحاث الجزائر، ط2، 2007 م، ص18.

[9] – محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ج1، ص 35.

[10] – محمد باي بلعالم المرجع السابق، ج،1 ،ص9.

[11] –Voinot (Louis) : Le Tidikelt , étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini,1995, P 30.

[12] – للتوسع ينظر محمد الصالح حوتية: المرجع السابق ج1، ص 36.

[13] – آولف كلمة أمازيغية تعني خلية النحل، أو وسط النخلة. ينظر: عبد المجيد قدي: صفحات من تاريخ منطقة آولف، دار الأبحاث الجزائر، ط2، 2007 م، ص 18. ذكرها الأغواطي (ت 1244هـ/ 1828م) في رحلته حيث بسط الحديث عن موقعها و أهميتها إذ اعتبرها "البلدة الرئيسية في واحة توات، و لها نفوذ على المنطقة والسلطان فيها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، و له سلطة توقيع العقوبة و السجن، و هو يمتلك الخيول والرجال، ولكن ليس له خزانة دراهم". أما بخصوص نباتها و مميزات سكانها فيقول: "و بلدة آولف محاطة بأسوار مبنية بالطين و فيها الماء الوافر و التمر، و للسكان عدد كبير من العبيد" ينظر: أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق،ص ص 257- 258. و يرجع تاريخ اختطاط آولف إلى سنة 164هـ /781م بناء على ما حملته جدران احد مساجدها العتيقة الذي بجانب قصبة الفزاريين من أولاد محمود وأولاد حمّد لمين، حيث كان يحتفظ بكتابة تاريخ المسجد كلما أعيد ترميمه، و هو ما يؤكد أن قبيلة الفزاريين هم أول من بنى هذا المسجد و استقروا بآولف . ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص 333.

[14] – اختلفت الآراء حول اسم عين صالح فمنهم من يقول: انه مرتبط باسم صالح باي (ت 1206هـ/ 1792م) حاكم قسنطينة في العهد العثماني، و هناك من يقول: أنها نسبة لواد كبير كان يسكنه الطوارق ويرعون فيه، وهناك من ينسبها إلى بئر حفره احد الحجاج اسمه صالح فصار يسمى على اسمه، وهناك من يقول أيضا أنها كلمة أمازيغية تبدأ بـ (إن) بدل (عين) مثل إنغر؛ وتعني الشعبة وهذا هو الأرجح لأن معظم القصور عين صالح أمازيغية. ينظر: تومي سعيدان: المرجع السابق، ص 24. محمد باي بلعالم: المرجع السابق ج2، ص 4. عبد الرحمن بن عمر التينيلاني:الرحلة الحجية ، مخطوط خزانة الشيخ باي بلعالم ، آولف، الورقة 3 و. عبد الرحمن الجنتوري: نوازل الجنتوري، مخطوط بخزانة بابا عبد الله، تيمي، أدرار، الجزائر، الورقة 74و.

[15] – محمد الصالح حوتية: آل كنته دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18-19م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2008م ، ص 75- 76 .

[16] – فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1977م، ص 53.

[17] – مقدم مبروك: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، دار هومة، الجزائر، ج1، 2008م، ص 134.

[18] –المرجع نفسه، ص 134.

[19] – زاجية هرباش: الوضع الاقتصادي في توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12و13 الهجريين 18و19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص140.

[20] – عبد المجيد قدى: المرجع السابق، ص 56.

[21]– زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 140.

[22] – قدي عبد المجيد: المرجع السابق، ص57.

[23] – مبروك مقدم: علاقة الأبجدية التيفيناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارات ، دار هومة، الجزائر، ج4، 2008م ،ص ص 30-31.

[24] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 54.

[25] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1،ص 103.

[26]– Martin (A.G.P) : Les Oasis Sahariennes, Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger , 1908, P 29.

[27] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1،ص 105.

[28] – محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، المرجع السابق، ج1،ص 107 .

[29]- Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 298.

[30] - Martin: Op.cit, P 298.

[31] - Ibid, pp 299- 300.

[32] - Ibid, p 300.

[33] - Ibid , pp 301- 305.

[34] - Voinot (Louis) : Le Tidikelt , étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays, Ed Jacques Gandini,1995 , p 25.

[35] - Bisson (Jean): Le Gourara, étude de Géographie Humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire N^0 03, 1995, Pp 127- 128.

[36] - Sabatier(Camille): Touat- Sahara et soudan, étude géographique, politique et militaire, société d'éditions scientifiques, paris, pp115-116.

[37] - Bissuel (H) : Le Sahara Français, conférence sur la question Sahariennes, Ed Adolphe Jourdan Librairie, Alger, 1891, pp 14-31.

[38]- Boyé(Capitaine): La question Saharienne, oasis de Feguig du gourara, du Touat, Du tidikelt, les touareg, librairie de monde militaire, paris, mars 1897 , pp 31-41.

[39] – أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية ماء الموائد، تح. سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبوظبي ، ج 1، 2006م، ص107.

[40] - Boyé :Op.cit,p38.

[41] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 113.

[42] – المرجع نفسه، ص 114.

[43] – Flyes (sainte marie): le commerce et l'agriculture au Touat, bulletin de société de la société de géographie d'Oran, TXXIV, 1904 p 335.

[44]– I bid. P 335.

[45] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 306.

[46] – Voinot: Op.cit, P25.

[47] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 306.

[48] – Ibid, P 307.

[48] – Bissuel: Op.cit, P 31.

[48] – Ibid. P 31.

[48] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit , Op.cit, P 307.

[49] – Bissuel: Op.cit, P 31.

[50] – I bid. P 31.

[51] – Decolomb (L):Notice sur les oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et colonial, imprimerie de CH, Lahure et Cie,1860, p 24.

Bissuel: Op.cit, P 31.

[52] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، 58.

[53]– Voinot: Op.cit,26.

[54] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, pp 308– 309.

[55] – محمد الصالح حوتية: توات و الأزواد، المرجع السابق، ج 1، ص 119. ينظر دائرة المعارف تر. ابراهيم خورشيد و آخرون، ج8، ص 119.

[56]– زاجية هرباش : المرجع السابق، ص 213.

[57]– Devors (P): le Touat étude géographique et médical, archives du l'institut pasteur, TXXV N^0 3,4 , Alger, 1947, P 233.

[58] – Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 309.

[59]– Devors :Op.cit, P 233.

[60] – زاجية هرباش : المرجع السابق، ص 214.

[61]– Martin: Les Oasis Sahariennes, Op.cit, P 309.

[62] – محمد باي بالعالم: الرحلة العلية، ، المرجع السابق، ج 1،ص ص 271– 272. ينظر: تومي سعيدان: المرجع السابق، ص ص 148– 149.

[63] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 58.

[64]– مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 94.

[65] – اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 34.

[66] – المرجع نفسه، ص 33.

[67] – أحمد مولود ولد أيده: الصحراء الكبرى مدن وقصور، وزارة الثقافة، الجزائر،ج1 ،2009 م،ص37.

[68]– Voinot :Op. cit,. pp 22-23.

[69] – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 134.

[70] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 59.

[71] – زاجية هرباش: المرجع السابق،ص 218.

[72] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان خلال القرن12هـ، المرجع السابق، ص 94.

[73]– Voinot: Op. cit,. P27.

[74] – فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 95.

[75] – مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان خلال القرن 12هـ، ص 94.

[76] – المرجع نفسه، ص 95.

[77] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 64.

[78]– Daumas (Eugene): le grand désert itinéraire d'un caravane du Sahara au pays des Négres , Royaume de Haoussa, Paris,1848, p 67.

[79] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 64.

[80] –المرجع نفسه، ص 65.

[81] – المرجع نفسه، ص 65.

[82] – الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م ،ج1، ص 103.

[83] – محمد الطيب بن عبد الرحيم (بن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح. فرج محمود فرج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1977م، ص 14.

[84]– المصدر نفسه، ص 14.

[85] – زاجية هرباش: المرجع السابق، ص 250.

[86] – فرج محمود فرج: المرجع السابق ص 67.

[87] – المرجع نفسه، ص 67.

[88]– Déporter (Victor): la question du Touat au Sahara Algérien, Gourara, Touat, Tidikelt, fontana, Alger 1891, p41.

[89]– أمحمد بن أحمد بن حمّد بن حمد أبو لحية الفزاري كان فقيها وتاجرا ودليلا للقوافل التجارية ، كان يدعم بتجارته الزاوية الفزارية التي كان أخوه البركه بن أحمد حمد لمين هو شيخها ، فإضافة إلى دورها العلمي كان لها دور اجتماعي في إيواء الضيوف وعابري السبيل . توفي أمحمد بن أحمد الفزاري في الطريق وهو عائد بتجارته من السودان الغربي، وعندما أحسّ بدنوّ أجله كتب وصية إلى أخيه = البركه حمّد لمين ، وكتب له ما يملكه من بضائع وأخبره أنه لم يتعرض لقطاع الطرق، توفي 1317هـ/1900م ودفن – رحمه الله– بعين زيزة بمنطقة أهنت جنوب تديكلت ؛ فأوصلت القافلة بضائع ووصية أمحمد بن أحمد الفزاري ومعها مصحف مخطوط كان يحمله معه في سفره بخط سيد أحمد الدولة، ويحتفظ الشيخ حامد لمين عبد الرحمان بالوصية والمصحف المخطوط . مقابلة مع الشيخ
حامد لمين عبد الرحمن ، بمنزله بزاوية حينون ، آولف ولاية أدرار ، يوم 20 أوت 2014 ، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

[90]– Déporter: Op.cit, p39.

[91] – رسالة من أحمد البكاي بتنبكتو إلى أحمد حمدي بتديكلت: مخطوط تحت يد حبّادي أحمد ، آولف، أدرار، الجزائر.

[92] – مقابلة مع حبّادي أحمد، بمنزله يوم 28 أوت 2014، بآولف ، أدرار ، الجزائر ، على الساعة التاسعة صباحا.

[93]– جعفري مبارك : العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 99.

[94] – Martin: Les Oasis Sahariennes,op.cit,p 318.

[95] – Daumas: le grand désert, Op.cit, p 68.

[96] – فرج محمود فرج : المرجع السابق، ص 71.

[97] – المرجع نفسه ، ص 73.

[98]– مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ ، المرجع السابق، ص 99.

[99] – Voinot: Op.cit , pp 38 – 39.

[100] –فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 71.

[101] – هرباش زاجية: المرجع السابق، ص 269.

[102] – يحي بو عزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص11. ينظر: فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 79.

[103] – المرجع نفسه، 71.